اللطائف

الجزء الاول من السنة الثالثة

١٥ (ايار) مايو ١٨٨٨ — الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٠٥

مقدّمة

تبتدئ اللطائف سنتها الثالثة بحمده تعالى على منّهِ وانعامهِ وتقرير الوعد لحضرات المشتركين ببذل الهمّة في زيادة فوائدها وطلاوة فكاهتها . فقد استبدلنا فصولها الادبيّة الاقتصاديّة التي استكملناها في السنة الثانية بفصول شائقة طليّة في الرحلات والاسفار . واستبدلنا تاريخ السودان الذي تمّ نشرهُ بمؤلّفٍ في تاريخ عرب الاندلس موافقٍ لذوق القرّاء معتدل في الحجم والمشرب قد أُفرِغ في قالب الفائدة والطلاوة حتى يروق للخاصّة والعامّة. وسنكمل رواية دار الغرائب والغِيَر وقد بلغنا اوّل غرائبها وقاربنا وصف غِيرها وحوادثها وسيجد القارئ انها من ابدع ما ابتكرتهُ العقول وتصوّرتهُ الاوهام. وسنتتبّع خطّتنا في إدراج النوادر والمُلَح والحِكَم والامثال والفوائد مغترفين من بحر اهل الأَدَب من افرنج وعَرَب حتى يلتقط القارئ درر الأمتين ويجني ثمار العقول من الجنّتين وسنتحرّى مع ذكر الاخبار الادبيّة العموميّة ذكر اخبار المحافل الماسونيّة لتعمّ الفائدة وتجمل العائدة. وبالله التوفيق

رحلة لِفِنْستُون الى افريقية

تمهيد

افريقية هذه القارَّة الواسعة الأكناف البعيدة الاطراف التي يعدُّ القطر المصري بقعة صغيرة منها قد صارت الآن مطمح ابصار اهل السياحة ورجال السياسة . اولئك يضربون فيها شرقًا وغربًا لكشف مجهولاتها والوقوف على احوال اهاليها وما فيها من النبات والحيوان والقفار والانهار وهؤلاء لمد التجارة وتهيئة المواطن للنازحين من اهالي بلادهم. وقد قصدها اقوام آخرون للدعوة الدينيَّة ومن اشهرهم الدكتور لفنستون الاسكتسي وهو اشهر رحَّالة طاف هذه القارَّة وأخبر انسان باحوال اهاليها وطبائع موجوداتها . وقد رأينا ان نقتطف من رحلاتهِ بعض الفصول ونوردها تباعًا لما فيها من الفكاهة والفائدة .

الفصل الاول

ولد لفنستون الرحَّالة الافريقي الشهير باسكتلندا منذ احدى وسبعين سنة ولما بلغ العاشرة من عمرهِ وضعهُ ابوهُ في معمل من معامل القطن ليستعين باجرتهِ على اعالة عائلتهِ. وكان لفنستون ميالاً الى طلب العلوم والمعارف منذ نعومة اظفارهِ فابتاع باجرتهِ الاولى كتابًا في نحو اللغة اللاتينيَّة وكان اذا انتهى من عملهِ في المعمل يمضي الى مدرسة ليليَّة ويتعلَّم فيها ساعتين كل ليلة وينتهز كل فرصة للدرس والمطالعة. ولم يتفرَّد في ذلك لان كل العصاميين الذين نجحوا بجدهم وخلَّدوا اسمهم بين عظام الانام جروا هذا المجرى فحصلوا العلوم

والمعارف رغمًا عن المصاعب الكثيرة المحيطة بهم

وكانت القرية التي ربي فيها على شاطئ نهر كليد وهذا النهر يجري في وادٍ كبير بديع المناظر كثير الازهار والاطيار فكان يغتنم الفرص للجولان في هذا الوادي وتفحص نباتاته ودرس اسمائها وخواصها الطبيعية وبيدهِ كتاب قديم في علم النبات يستعين بهِ على ذلك . وكان مغرمًا ايضًا بدرس الجمادات التي في ذلك الوادي وكان فيهِ شيء كثير منها فحصّل من علم النبات والجماد وهو في سن الحداثة ما يعزّ تحصيلهُ على مثلهِ . وكان لم يزل في المعمل وعملهُ فيهِ غزل القطن. فما اشبههُ بكثيرين من اولاد الاغنياء الذين تنفق عليهم النفقات الطائلة في اكبر المدارس ثم يخرجون منها كما دخلوها كأنَّ بين العلوم وعقولهم تنافرًا طبيعيًّا فلا تأتلف

ولما بلغ التاسعة عشرة من العمر طمحت ابصارهُ الى درس العلوم العالية وهذا شأن كبار النفوس الذين اذا القتهم الاقدار في اكواخ الصعاليك رفعتهم نفوسهم الى عروش الملوك . فجعل يتردَّد على مدرسة كلاسكو الجامعة يدرس فيها العلوم الطبيَّة في بعض ساعات النهار ويقيم في البعض الآخر في المعمل. وكان يفتح الكتاب ويضعهُ على آلة الغزل ويدرس دروسهُ وهو يديرها والعمَّال حولهُ يديرون آلاتهم المختلفة واصواتهم تملأ المعمل ومن ثمَّ اعتاد على حصر افكارهِ في اي موضوع ارادهُ مهما اشتدَّت جلبة الناس حولهُ حتى انهُ كتب اكثر رحلاتهِ بعدئذٍ وهو في قلب افريقية وحولهُ اقوام متوحشون يضجون ويرقصون . وكان يدفع اجرة التعلُّم في مدرسة كلاسكو من اجرة الغزل التي يأخذها من المعمل

وفي ذلك الحين قامت في نفسهِ رغبة شديدة في الذهاب الى بلاد الصين لدعوة اهاليها الى الدين المسيحي ولما انتشبت الحروب في تلك البلاد عدل عن الذهاب اليها وعوَّل على الذهاب الى جنوبي افريقية لهذه الغاية عينها فمضى اليها ونزل في بورت ناتال في جنوبي افريقية سنة ١٨٤٠ وفي الحال مضى الى داخلية البلاد الى مكان اسمهُ كرمان

هذا ولا بدَّ لنا من الكلام على جغرافية البلاد واهاليها قبل الاسترسال في وصف ما لاقاهُ هذا الرحَّالة الشهير في رحلاتهِ فنقول : تمتد البلدان التي ساح فيها لفنستون سياحاتهِ الاولى من راس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية الى نحو ثماني درجات جنوبي خط الاستواء من جهة الغرب والى نهر زمبيسي من جهة الشرق وهي تشمل بلاد الراس وبلاد الهوتنتوت وبلاد الكفرة والقفار المتوسطة بين بلاد الهوتنتوت وبلاد الكفرة. فبلاد الراس ومساحتها نحو مئة وثلاثين الف ميل اكتشفها البرتوغاليون سنة ١٤٨٦ وعمَّرها الدنيمركيون ثم استولى عليها الانكليز سنة ١٨١٥. وسكانها من الدنيمركيين والانكليز والخلاسيين وهم المولودون بين البيض والسود. واكبر مدينة فيها مدينة الراس وهي حسنة المباني كثيرة البساتين وفيها كثير من المدابغ والمخامر والمعامل ولها تجارة واسعة في الجلود والقرون والعاج والصبر والزيت والشمع والصوف والخمر. وبلاد الهوتنتوت الى الشمال الغربي من بلاد الراس واهاليها قباح المنظر قصار القامة قلال الشعر عراض الرؤوس فطس الانوف ضخام الشفاه واقبحهم منظرًا طائفة البشمن وهم يسكنون شمالي البلاد ولون الجميع اسمر قاتم اي ان لونهم الاسود ليس فاحمًا. وبلاد الكفرة الى

شرقي بلاد الراس واها ليها قطاط الشعور طوال القامة لونهم ليس بالاسود الفاحم وهم اشدَّاء في الحروب ويعتنون بالزراعة بعض العناية فيحرثون الارض ويربون الخيل والمعزى ومنهم الزولو الذين اشتهروا في السنين الاخيرة بحرب الانكليز. وجميع قبائل الهوتنتوت والكفرة لا يمتدون شمالاً في قارة افريقية الى ابعد من خط الجدي واما الزنوج الحقيقيون فمواطنهم فوق خط الجدي الى جهات خط الاستواء

قلنا ان الدكتور لفنستون لما وصل الى افريقية قوَّم خطواتِهِ الى كرمان حيث مقرُّ المرسلين ولكنهُ لم يقم هناك الاَّ ريثما ارتاحت الثيران التي كانت تجرُّ مركباتهِ ثم سدَّد خطواتِهِ شمالاً ونزل في وادي مابتسا حيث العرض ٢٥° و ١٤′ جنوبًا ولكنهُ رأَى من جور الدنيمركيين وتعنيفهم للاهالي الاصليين ما حملهُ على الابتعاد عنهم والايغال في البلاد . وكان قد بلغهُ ان في داخلية البلادِ بحيرة كبيرة اسمها بحيرة نجامي فعزم على الذهاب اليها وكانت الطريق اليها في قفر لم تطأهُ رجل انسان ابيض قبلهُ فاستصحب معهُ اثنين من الاوربيين وخرج من وادي مابتسا يطلب بحيرة نجامي وكان ذلك في غرة شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٤٩ فبلغها بعد مسير شهرين كاملين ورأَى في طريقهِ نوعًا من البقر كبير القرون جدًا تبلغ المسافة من طرف قرنهِ الواحد الى طرف القرن الآخر ثماني اقدام انكليزية ونصف وطول القرنين معًا على انحنائها ثلاث عشرة قدمًا وخمسة قراريط . ولما بلغ بحيرة نجامي وجد انها صافية الماء يخرج منها نهر يجري ثلثمئة ميل ثم يغور في الرمال ومجراهُ في وادٍ كثير الاشجار واعظم اشجارهِ شجرة الباوباب فقد قاس جذع

شجرة منها فوجد محيطهُ خمساً وتسعين قدماً انكليزيَّة . وفي هذا النهر وفي بحيرة نجامي كثير من التماسيح والثعابين وهناك الكركدن وفرس النهر والجاموس والوعل على انواعهِ واشجار النخيل المختلفة

ثم زار هذه البحيرة مرتين أُخريين وفي المرة الاخيرة بلغ منازل الرئيس سبتوان وكان هذا الرئيس بطلاً صنديداً قطع القفر الذي قطعهُ لفنستون وحارب القبائل المجاورة وتغلَّب عليها كلها حتى هابهُ الجميع من عالٍ ودون ولكنهُ أُصيب بمرض عضال بعد وصول لفنستون الى ديارهِ وقضى نحبهُ حالاً ولم يجسر لفنستون ان يعطيهُ دواء لئلاَّ ينسب اهلهُ موتهُ الى الدواء. وسنأتي في الفصول التالية على وصف ما شاهدهُ من غرائب قارَّة افريقية في رحلتهِ هذه وفي بقية الرحلات

حِلْم يوسف الثاني او مَعْن الالمان

يُضرَب المَثَل في الحِلْم عند العرب بمعن بن زائدة وامرهُ مشهور وقد ذكرناهُ في السنة الأُولى من اللطائف وعند الالمان بالامبراطور يوسف الثاني الذي ولد سنة ١٧٤١ ومات سنة ١٧٩٠ للميلاد قيل انهُ كان زاهداً في نعيم الدنيا لا يحب الفخفخة ولا الترَف والمباهاة فلبس ملابسهُ الساذجة غداة يومٍ وركب مركبتهُ وخرج لشم الهواء في ضواحي مدينة ڤينا فاصابتهُ مطرةٌ فعاد . وبينما هو في الطريق وحدهُ يسوق مركبتهُ بنفسهِ ناداهُ رجل لابس لباس الجنود وطلب اليهِ ان يقف فوقف . ولما ادركهُ لم يعرفهُ وقال لهُ اسمح لي من فضلك ان اركب معك في المركبة فانك وحدك والمركبة

واسعة والمطر شديد وملابسي هذه جديدة ولم البسها الاَّ اليوم فاخاف ان يذهب المطر برونقها فقال لهُ الامبراطور اهلاً وسهلاً اصعد واركب بجانبي

ولما ركب قال لهُ من اين اتيت فقال كنت مدعوًّا عند نواظير حمى الامبراطور وحرَّاس صيدهِ وقد تغذَّيت عندهم غداء فاخرًا فقال وما يكون قال احزر قال وما ادراني العلَّك اكلت ضلعًا محشوًّة قال اعظم قال أفخذًا مقلوة قال اعظم قال أحَمَلاً مسمنًا قال اعظم. انما اكلت اكل الملوك فاني اصطدت ديكًا من ديوك التَّدْرج التي جاء بها ملوك هذه الازمان من اراضي خراسان واطلقوها في غاباتهم الملتفَّة الاشجار وغياضهم الكثيرة العيون الثرار ليروّحوا النفس بصيدها ويلذذوا الذوق بطعمها. ولا يخفى على القارئ ان الملوك والامراء الذين يزرعون الغياض الواسعة في بلادهم يضنون بصيد ما فيها من الوحش والطير ضنًّا عظيمًا حتى انهُ ليهون عليهم طروق دارهم وسلب متاع قصرهم دون تعدّي حماهم واصطياد وحشهم وطيرهم ولا سيما ما كان كالتدرج من عزيز الطير وفاخر الصيد

فقال لهُ الامبراطور وهل بلغ منك ان تصطاد في حمى الملوك افخر صيدهم ولم يزد عن ذلك قال وهل الملوك من خلق الله ونحن من خلق ابليس. ثم وصلا الى المدينة وكان المطر يهطل مدرارًا فقال لهُ في اي حيٍّ تسكن واين تريد أن انزلك فاجاب الضابط اني قد ثقلت عليك ولا اريد ان ازيد ثقلتي قال لا بل انزلك امام باب بيتك فما اسم الشارع الذي تسكن فيهِ فقال لهُ اسمهُ كذا وما اسم الفاضل الذي غمرني بمعروفهِ. قال الامبراطور احزر في دورك فقال ان لم يخطئْ ظني فانك جندي مثلي قال نعم قال فهل انت

ملازم قال اعظم قال يوزباشي قال اعظم قال بكباشي قال اعظم . قال امير الاي قال اعظم فذُعر الرجل واضطرب في مقعدهِ وقال العلَّ مولاي فريق او مشير قال اعظم فقال لم يبقَ الاَّ الامبراطور قال نعم اني هو فخرَّ الرجل على ركبتيهِ وتلعثم لسانهُ عن الاعتذار وجعل يرجو من الامبراطور ان يسمح بنزولهِ من المركبة فابى قائلاً لقد تعدَّيت حماي واكلت صيدي فأُحبُّ اليك بلل الامطار وخوض الوحول من البقاء في قبضة يدي . وما زال يسوق بهِ المركبة حتى انزلهُ على باب بيتهِ وودعهُ وانصرف

العفو من شيم الكرام

كان تيطس من كبار سلاطين الرومان واشهر كرامهم. قيل ان اثنين من رجال دولتهِ اعتصبا عليهِ وجعلا يكيدان سرًّا لاغتصاب الملك منهُ فعلم بامرهما وكان يحبهُما حبًّا عظيمًا فاحضرهما اليهِ وهما لا يدريان بما اضمر. فلما مثلا بين يديهِ تلطَّف لهما في الكلام وقال اقرَّا ياصاحبيَّ لصديقكما تيطس بما انتما فاعلان فانهُ لا يُعلِم الامبراطور بشيءٍ من ذلك. فعلما ان امرهما قد انكشف ولم يجدا من الاقرار مناصًا فاقرَّا بكل ما فعلا وما اضمرا . فقال لهما ان الامبراطور لم يزل صديقكما كتيطس وعفا عنهما ودعاهما الى تناول الطعام معهُ وبينما هو مختلٍ بهما في قاعة من قصرهِ جيء اليهِ بسيفين فنظر فيهما ثم اعطى كلاًّ منهما سيفًا لينظر فيهِ وكان غرضهُ من ذلك ان يؤكد لهما تمام ثقتهِ بهما وانهُ لا يخشى منهما غدرًا. فصارا من اعظم أنصارهِ ولذلك ولمناقبهِ الحسان لقبوهُ بزهرة نوع الانسان . وهو الذي لما فاتهُ يوم ولم يحسن فيهِ الى احد بكى وصرخ قائلاً قد ضاع يوم من عمري

رواية دار الغرائب والغيَر

(تابع ما قبله)

الفصل الخامس عشر

قال الخبيرون ان السهر الطويل اوَّل السقام والأَرق مجلب الضعف والهزال وهذا قول يؤَيّدهُ اختبار كل انسان فان اسمى الناس جمالاً والطفهم لونًا واشدهم نضارةً وطلالةً يصبح بعد احياء الليل بالسهر والارَق كالح الوجه حائل اللون ضيق الاخلاق . وهذه كانت حالة الذين احيوا الليل ساهرين يخفرون المنازل التي بات امير سوسن نائمًا فيها بعد تجرعهِ دواء ويلان . فلما اصبح الصباح سمعوا قرعًا على باب الدار فقام رالي وهو الفتى الذكي الفؤَاد الذي وصفناهُ في ما تقدم من الكلام وذهب الى باب الدار ثم عاد فوجد رفاقهُ على ما وصفنا من كلح الوجه وقتام اللون والذبول . فقال لهم اعوذ بالله من قبح هذه الوجوه . قوموا الى المرآة وانظروا الابالسة والشياطين فقالوا ما لك وللمزاح في وقتٍ لا يليق بهِ الأَ الجد والوقار . قل لنا من الذي قرع الباب . قال قرعهُ طبيب الملكة الخاص آتيًا من لدن جلالتها لعيادة مولانا الامير والسؤَال عن حالهِ . فابرقت وجوههم سرورًا وبشرًا وقالوا اذا منَّ الله على مولانا بالعافية فاز على خصمهِ امير لستر ولكن قل لنا ماذا قال طبيبها وهل ادخلتهُ بما يليق بهِ من التجلة والاكرام . قال اني لم اسمح لهُ بالدخول فعاد مغضبًا من حيث اتى . فصفقوا صفقة الآسف وثاروا بهِ يعنفونهُ على ما فعل ويلومون بعضهم بعضًا لانهُ لم ينزل غيرهُ منهم لينظر من قرَع الباب . ويقولون قد دنت آخرة مولانا فسخط الملكة لن يحول عنهُ عاش او مات

فقال لهم رالي كفُّوا عن التعنيف وأَقلُّوا من هذا الكلام والملام فما خوفكم على مولاكم بل خوفكم على مصالحكم لان تقدُّم الامير عند الملكة يعود عليكم بالنفع والجاه ولا يهمكم غير ذلك . والاَّ لما كنتم تعنفونني على ما فعلت وانا لم افعل الاَّ ما بهِ صالح مولانا وحياتهُ . أَلا تعلمون اني لو ادخلت طبيب الملكة الى غرفة الامير لوقع بينهُ وبين الطبيب الذي اتى بهِ طرسليان خلاف وخصام يفضي الى اقلاق الامير بل الى ازعاج اهل الدار كلها فقد قيل ان الدنيا تسع ام الثقلين وتضيق عن طبيبين . فما تكون جدوى مولانا بعد دنوّ اجَلهِ من التفات الملكة وسموّ انعامها . فقالوا لهُ ان الطبيب اتى بامر الملكة نفسها فمن الذي يتحمل الآن طائلة غضبها ويكون المسؤُول في مخالفة اوامرها قال انا اتحمل ذلك وانا أُطالب بهِ فقرُّوا عينًا وطيبوا نفسًا

وبينما هم يتجادلون ويتحاجُّون ورالي يحجُّهم بالكلام ويفحمهم عن الجواب اتاهم طرسليان فرحًا باسمًا وهو نشوان من النعاس مضنًى من طول السهاد وقال لهم ان الامير استيقظ من نفسهِ وقد تحسَّنت حالهُ وخفت آلامهُ وانتعشت قواهُ ثم قال لهم مروا الخفراء ان يتخلوا عن الخفارة ويذهبوا في طلب الراحة . ثم انهم اخبروهُ بما كان من امر رالي وطبيب الملكة فابلغهُ الى الامير . فلما سمع الامير ذلك وتصوَّر خيبة الطبيب ضحك ولكنهُ عاد ففطن الى ما سيعقبهُ من سخط الملكة وشدَّة عتابها فدعا مقدم فرسانهِ واسمهُ بَلَنْت وقال لهُ خذ رالي وآخر واذهبوا في قارب الى قصر الملكة وتشكروا عني لجلالتها لما شملتني بهِ من حسن الالتفات واعتذروا عن ردّ طبيبها ومنعهِ من الدخول عليَّ مبيّنين السبب الذي اضطرَّكم الى ذلك

واما بلنت فهو الكهل الذي وصفناهُ مع رالي في الفصل السابق وكان من اوَّل اللاَّئمين لهُ على فعلهِ . ولكنهم كانوا جميعًا من الخلان الاصفياء لا يثقل كلام بعضهم على بعض . فخرج من غرفة الامير وهو يتأفف ويقول تبًّا لرالي ولهذا الصباح فلو كان الامير قد ارسلني لمقاتلة اعوان لستر وتبديد شمل رجالهِ الانذال لسررت قرير العين ناعم البال واما الآن فمتى كنتُ اوَّل فصيح لسِن حتى ان مولانا يرسلني لاعتذر الى ملكة لا يرضيها الاَّ ما كان مبرقشًا مموهًا من الكلام حتى ان لسان الفصيح يلجم عيًّا عند التكلم معها والخطيب البليغ يحصر عند خطابها تعال يا ابرهيم وتعال انت يا رالي وأبن لنا الآن فصاحتك وبلاغتك وليس في مجاوبتك لنا وافحامك ايانا بالكلام . فان كنت لبيبًا فنجِّنا من الورطة التي القيتنا فيها بسوء تصرفك . فقال عليَّ كل ذلك ولكن امهلني حتى ابدل ردائي وامسح نعليَّ فاني لا اذهب الى قصر الملكة الاَّ على ما ينبغي من الزينة وحسن الهندام . ثم تركهما واسرع الى غرفتهِ وبلنت يقول ما رأت عيناي مثلك يافتىً في قوة العقل وحدة الذهن ولكن السن لا بد ان يستوفي حقهُ فما الحاجة الآن الى الزينة والملبس وهل يلتفت اليك الاَّ الجواري وبنات السيَّاس . وما لبث رالي ان غاب حتى عاد بثياب نظيفة وهيئة مرتبة وعلى كتفيهِ رداء جديدٌ جميل . فركبوا القارب وساروا في نهر التمس قاصدين قصر الملكة . ولما دنوا منهُ وجدوا زورق الملكة امام القصر وفيهِ الملاَّحون بالملابس البهيَّة وراية الملكة تخفق فوقهُ وحولهُ زوارق أُخرى لتحمل حاشية الملكة وحرس الملكة مصطفون من باب القصر الى ضفة النهر حيث الزورق راسٍ والكل مستعدون ينتظرون خروج الملكة من قصرها

فقال لهم بلنت هوذا الملكة خارجة في ساعة لم يُعتَد خروجها فيها فمن العبث ان نحمل اليها بلاغ الامير فلنرجع ولنخبر الامير بما رأَينا . فقال رالي وماذا رأينا غير القوارب والرجال بالملابس البهية والاسلحة الفضّية . دعونا نبلغ الملكة كلام الامير ونخبرهُ بجوابها فدنوا من الشاطئ ونزلوا على مقربةٍ من زورق الملكة وقصدوا باب القصر فصدهم البواب فقالوا أنَّا آتون من قِبَلِ امير سوسن فقال ان الملكة عازمة على الخروج في حاشيتها ولست بمأذون ان أُدخل احدًا كبيرًا كان او صغيرًا . فجعل رفيقا رالي يلومانهِ ويطلبان الرجوع وهو مصرٌّ على الوقوف حتى يروا الملكة . وحينئذٍ انفتحت ارتاج القصر وخرج الحشم صفوفًا بين يدي الملكة وهي ماشية بجانب امير من اقربائها محفوفة بالامراء والاميرات وكلهم ماشون بالوقار والنظام بحيث ترى وتُرى من كل الجهات

فلما رآها رالي مقبلة في بطانتها جعل يقترب منها ويقتحم الموكب حتى كاد يختلط بالحشم ورفيقاهُ يعنفانهِ على جرأتهِ واقتحامهِ ويجذبانهِ من اهداب ردائهِ وهو يتنق الرداء منهما متأففًا حتى قربت الملكة منهُ فوقف وقد ابرقت عيناهُ ولعبت ريح الصبا بعطفيهِ فبان اعتدال قدّهِ وحسن قوامهِ واشرقت شموس الحسن والجلال على وجههِ حتى ان الحشم والخفراء لانوا لهيبتهِ ولم يبعدوهُ ابعاد غيرهِ من الناظرين فاسعدهُ الحظ بان يقف امام عيني الملكة بكامل هيبتهِ وجمالهِ وحسن قدّهِ واعتدالهِ. فلما وقعت عيناها عليهِ وكانت من ادقّ الناس نقدًا للهيئات والازياء واشدّهم حبًا بالجمال واعتبارًا للمحاسن الحسيّة والمعنويَّة اعجبها حسن خَلقهِ واعتدال قدّهِ وقوامهِ ولكن لم يرضها اقتحامهُ فلما دنت لتمرَّ من امامهِ اقبلت على بقعةٍ قد توحَّلت من اثر مطرةٍ في الليلة

السابقة . وبينما هي تتلفت لترى اين تمرّ نزع رالي رداءهُ بخفةٍ ورشاقةٍ وفرشهُ على الوحل امام قدميها وقد انحنى امامها انحناء الوقار وكسا الحياء وجنتيهِ حلَّةً من الجلنار. فلما رأت الملكة منهُ ذلك ارتبكت وصبغ الحياء وجهها فاحنت رأسها متبسمة ووطئت على الرداء ومشت الى الزورق فركبت وسارت ولم تتفوَّه بكلمة

ثم ان رالي رفع رداءهُ عن الارض وطواهُ والقاهُ على ذراعهِ فجعل رفيقاهُ يسخران بهِ قائلين ألبست هذا الرداء الجميل لتفرشهُ تحت الاقدام اولتسبي بهِ قلوب الحسان فان كان مرادك جعل رداءك موطئًا للاقدام فقد كان الأولى بك ان تأتي بذلك الرداء العتيق وتلقيهِ على الوحل غير مأسوفٍ عليهِ. فقال لهما اني ساحفظ هذا الرداء ملطخًا بالوحل ما حييت شرفًا وفخرًا. وحينئذٍ اتى رجل من حشَم الملكة وقال لرالي تعال اتبعني فاني آتٍ في طلب الذي نزع عنهُ الرداء منكم فقال لهُ بلنت انهُ من رجالي وانا مقدَّم فرسان امير سوسن وقد جئت الى هنا بامرٍ من الامير فقال رسول الملكة ذلك لا يعنيني وانقلب راجعًا ورالي يتبعهُ وعاد بلنت ورفيقهِ يهزَّان راسيهما ويقولان سبحان الله ومن قدَّر الله لهُ نصيبًا نالهُ . وركبا الزورق ورجعا الى دار مولاهما امير سوسن واما رالي فانهُ ركب مع الرسول قاربًا من القوارب التي تنقلُ الناس الى زورق الملكة . وجعل الملاحون يجذفون بهما سريعًا حتى ادرك القارب زورق الملكة وكانت جالسة في المؤخر وحولها السراة والاشراف وهي تلتفت من وقت الى آخر الى رالي ثم الى الذين حولها وتتكلم وتتبسَّم. فلما صار القارب بجانب الزورق أمرَت بان يصعد رالي اليهِ فصعد من المقدم وتقدَّم مختالاً في مشيتهِ حتى

تقف في الحضرة واما القارب فرجع الى وراء بقية الزوارق

فنظرت الملكة الى رالي فرأت عليهِ علامات المهابة والحياء وكان رداؤهُ الملطخ بالوحل ملقى على ذراعهِ فسرَّها ذلك منهُ وقالت لهُ انك خسرت رداء جميلاً في خدمتنا ايها الشاب فنشكرك على خدمتك لنا وان كانت لا تخلو من الغرابة والجراءة الزائدة فقال ان الجراة واجبة على كل احدٍ من الرعية في خدمة ملكتهم وقضاء واجباتها . فالتفتت الملكة الى رجل من كبار الاشراف وقالت لقد احسن الفتى في الجواب ثم قالت لرالي انك رغبت في خدمتنا ونحن نكافئك عليها فاذهب الى مدير مخازننا وهو يعطيك باسمنا رداء اجمل من ردائك وابهى . قال العفو يا مولاتي فعبدكِ عارفٌ بسعة نعمكِ معترف بافضالكِ ولكني لو خُيّرتُ لاخترتُ — فقالت لاخترتَ الدراهم ايها الفتى المغرور . افٍ لهذا الاختيار وأنا لنخجل ان تكون عاصمتنا شركاً للشبان ينفقون فيها الاموال على اللهو والطيش وافساد العقل والجسد فما عشنا وملكنا بنعمة الله فاننا نستأصل هذه الشرور ونقطع هذه الاشراك . ولكنك ان كنت ايها الفتى فقير الحال مضطرًا ان تقوم بمعيشة والديك فاننا لا نبخل عليك بالمال اللهمَّ اذا تحققنا انك تنفقهُ في سبيل حميد مستقيم فصبر رالي حتى فرغت الملكة من الكلام ثم قال وليس المال مشتهاي يامولاتي فقالت وما الذي تشتهيهِ اذًا يا غلام ان كنت لا تطلب الثياب ولا المال قال ان كل ما اشتهيهِ هو ان تأذن مولاتي لعبدها بلبس هذا الرداء الذي طويتهُ والقيتهُ على ذراعي اجلالاً . هذا اذا كان طلبي لا يُعدُّ جراءةً وطمعاً بالحصول على شرفٍ انا اعلم اني لا استحقهُ . فقالت الملكة ما اصابك ياغلام

وما حاجتك الى الاذن في لبس ردائك . قال انهُ لم يبقَ رداء لي بل صار رداء يليق باعظم امير في هذه المملكة بعد ما وطئتهُ اقدام جلالة الملكة . فاحمرَّ وجه الملكة خجلاً وضحكت لتخفي ما مازج نفسها من السرور بكلام رالي وعذوبة اجوبتهِ ثم التفتت الى من حولها وقالت أَسمعتم ايها السادة مثل هذا الكلام فالظاهر أن الغلام اضاع رشدهُ في مطالعة القصص وتصديق الاحلام فلا بدَّ لي من معرفة حقيقة امرهِ لاردهُ سالمًا الى اهلهِ فسألتهُ من انت ياغلام. قال انا يا مولاتي رجلٌ من رجال اميرسوسن وقد جئت الى هنا مع مقدَّم فرسانهِ رسولاً الى جلالتكِ. فلما سمعت اسم امير سوسن اكفهرَّ وجهها وتقطب جبينها وقالت أنَّا علمنا كيف نقابل رسل امير سوسن من مقابلتهِ لرسلنا فقد ارسلنا اليهِ طبيبنا الخاص في هذا الصباح ليعودهُ ويستعلم عن حالهِ اذ بلغنا ان مرضهُ ثقيل فما كان منهُ الاَّ انهُ سدَّ بابهُ في وجه طبيب قد اشتهرت معارفهُ وعوارفهُ في الآفاق وكاد رجالهُ المدججون بالسلاح يشهرون سلاحهم في وجه طبيبنا الذاهب بامرنا . فما بال الامير يبعث الينا بالرسل بعد هذا الاعتداء فليعلم أنَّا لا نقبل لهُ عذرًا والجرح جديد

قالت ذلك وهي عابسة مرتجفة مما اتَّقد في حشاها من الغيظ حتى ان كل من كان معها من حزب امير سوسن هلعت قلوبهم اشفاقًا عليهِ الاَّ رالي الرسول فانهُ صبر حتى ثابت الى السكون ثم طأطأ رأسهُ اجلالاً وتوقيرًا وقال عفوًا يا ذات الجلال فاني لم آتِ من قِبَل اميرسوسن للاعتذار . فقالت وقد نفد منها الاصطبار وما الذي اتى بك اذًا الى هنا اجئتَ تتنصَّل عن مولاك أم يريد مولاك ان يجاهر بالعدوان . الويل لمَن يميل قلبهُ الى العصيان

فقال ان امير سوسن قد علم يا مولاتي ما جرى واستعظم الامر ومن لا يستعظمهُ وظاهرهُ الخيانة والخروج عن طاعة جلالة الملكة ولذلك لم يرَ خيرًا من ان يمسك الجاني ويغادرهُ تحت رحمة جلالتكِ . فانهُ لمَّا اتى الطبيب دار الامير كان نائمًا على اثر جرعةٍ سقاهُ اياها بعض الاطباء فلم يدرِ بما كان الاَّ بعد ما استيقظ في الضحى . فقالت الملكة ومَن من عبيدهِ يجترئُ ان يردَّ رسولنا قال هو عبدكِ الواقف بين يدي جلالتكِ فاني انا المجترئُ الجاني واما مولاي الامير فبريٌ وقد بعث بي لاطلب العفو عن ذنب هو أبعدُ الناس عنهُ . فقالت أأنت فعلت ذلك وظواهرك تدلُّ على انك اطوع الناس لمليكتك واشدُّهم خضوعًا لها . قال ان الضرورات تبيح المحظورات وقبل ان الطبيب ملك العليل فلما اتى طبيب جلالتكِ كان مولاي الامير تحت سلطان طبيبٍ أوصى ان يبعد عنهُ كل ما يقلق نومهُ والاَّ ورد حتفهُ . فقالت ان مولاك جاز عليهِ دجل الدجالين فسلَّم حياتهُ ليد واحدٍ منهم وذلك خطاءٌ مبين قال لست اعلم ذلك والذي اعلمهُ ان مولاي اصبح اليوم اقوى ممَّا كان وقد زال عنهُ ما يخشى منهُ . فاشرقت وجوهُ انصار الامير ونظر بعضهم الى بعض مستبشرين . ولاح على ثغر الملكة الابتسام وقالت قد جئتنا ببشارة يا غلام ولكن ذلك لا يدفع عنك اللوم على ما ابديت من الجرأة والاقتحام ألم تدرِ ما جاء عن لسان سليمان الحكيم حيث قال "وبكثرة المشيرين امان" قال لم اجهل قول الحكيم ولكن سمعت العلماء والمفسرين يقولون ان الامان للطبيب وليس للعليل قالت لله درُّك يا غلام ما اسرع خاطرك واقوى حجتك فلقد سددت عليَّ ابواب الكلام . ثم التفتت الى رجل من كبار

المفسّرين وقالت وما الذي يقولهُ العلاّمة النحرير في تفسير الآية . فقال ان العلماء مختلفون في تفسير الامان فاصلها بالعبرانيَّة — ولما رأَت الملكة ان هذا البحث يطول قالت ما لنا وللعبرانيَّة والكلدانيَّة ما اسمك يا فتى وابن مَن انت قال عبدكِ يسمَّى رالي وهو صغير عائلة كريمة في هذه البلاد. قالت سمعنا عنك وعن فعالك في محاربة الارلنديين الثائرين وكيف امسكت وحدك مخاضة النهر على فرقة منهم فصددتهم بعد ما قتلت كثيرين منهم وصبغت ماءَ النهر بدمك ودمائهم قال اني فعلت فعلاً حقيرًا لا يستحق ان يبلغ مسامع جلالتكِ وقد سفكت بعض دمي حيث كان لا يكثر عليَّ سفكهُ كلهُ اعني في خدمة مليكتي

فصمتت الملكة برهةً عند سمعها هذا الجواب ثم قالت انك لاتزال يافعًا حديث السن لا ينتظر من مثلك فعل ما فعلت ولكن لا بدَّ من معاقبتك على ما عاملت بهِ طبيبنا من الجفاء فانهُ ذهب اطاعةً لامرنا بعد ما كان قادمًا من عيادةٍ لهُ منهوكًا من التعب فلما رجع خائبًا اصابهُ صداع اليم وزكام اثر بردٍ مسَّهُ وهو راجع في القارب . فاول دفعة من دفعات العقاب اني آذن لك بلبس الرداء وثانيها ان تلبس هذه الحلية تذكارًا مني وناولتهُ حلية من الذهب الابريز ثم امرتهُ ان يجلس في الزورق حتى يصدر لهُ امرٌ آخر بعقاب ثالث فجلس

ثم التفتت الى الذين حولها وقالت أَرى ان نعدل عن الذهاب الى مدينة لندن ونقصد منازل امير سوسن لنعودهُ بعد ما بلغنا خبر تحسن حالهِ وقبلنا عذر رسولهِ . فالامير قد خدمنا خدمات لا تنكر ويحق لهُ ان نعودهُ

وتهنئهُ بالسلامة ولي غرض آخر في عيادتهِ وهو ان ابغتهُ في منازلهِ لارى كيف تكون حقيقة احوال امراء مملكتي في معيشتهم. فاجابها الامراء والشرفاء جميعًا سمعًا وطاعةً وللحال غيروا وجهة المسير وقصدوا منازل امير سوسن. وكان رالي بعيد النظر في عواقب الامور بصيرًا في مجاري الاحوال يعلم ان الصغائر تنتج الكبائر فخاف ان ترى الملكة ما يسوءها اذا دخلت منازل الامير على فجاءةٍ فقال اخشى يا مولاتي ان فرح مولاي بقدوم جلالتكِ يغلبهُ فيأتي بما لا يحبُّ اذا جاءهُ فجأةً فان تأذني لعبدكِ فاني اسرع فانقل اليهِ البشائر بمجيء جلالتكِ مع سراة القوم. فزجرتهُ الملكة قائلةً لا تتكلم في مجلس الملوك غير مخاطَب ولا تُجب غير مسؤول فلا بدَّ لنا من مفاجأة الامير لنرى مجرى الاحوال هناك. والظاهر ان تطفُّل رالي في الكلام ساء الملكة فزجرتهُ ولاسيما لانها كانت تعلم بما بين امير سوسن وامير لستر من المنافسة وتسمع بانهما يحشدان الرجال ويسلحان الابطال ولا يهابان ان يأتيا هذه المنكرات في حكمها وهما في جوار قصرها فارادت ان تحقق ما تسمع وتجد بابًا للعتاب والملام دفعًا لاسباب المشاحنة والخصام

فصمت رالي وجلس وهو يقول عسى ان يكون مساء هذا النهار كصباحهِ وان ينال مولاي الامير من الحظ ما نلتهُ انا فقد خسرتُ رداءً ولكني ربحت بهِ ثروةً ومقامًا ومستقبلاً سعيدًا . ويا ليت رجال الامير اذكياء العقول كما هم اصفياء القلوب . ولكنهم قوم ساذجون فمقدم الفرسان لاهٍ الآن بشرب المسكرات واكل المقددات وفلان يتلذذ بما ثقل وغلظ من الطعام وفلان لا يلذُّ الاَّ بما خبثت رائحتهُ من البصل والثوم . والملكة تكره كل هذه الطعوم

والروائح على ما يقولون وتحتقر قوماً يلتذون بها . فيا ليتهم يوقدون البخور في الدار اوحصى اللبنى في الغُرَف والمخادع . ولكن ليس في اليد حيلة فدع الامر للتقادير

وما لبثت الزوارق ان رست على ضفة النهر حتى خرج الاهلون افواجاً يحيُّون الملكة ويرحبون بقدومها منادين باعلى اصواتهم . فسمع امير سوسن اصوات الترحيب وعلم ان الملكة آتية في بطانتها لعيادتهِ فتأفف وتضجر لان قدومها كان على فجأة وهو مشغول بمحادثة طرسليان في امر الاعتذار لها عما كان وطال الحديث بينهما وامتد الى حادثة ميّ وربار ووردان واطلعهُ طرسليان على ما عزم عليهِ من من مرافعة وردان . فقال لهُ الامير وهو ناهض لاستقبال الملكة سأبذل جهدي مع الملكة لعلي آتيك بمنفعة ولكني اخاف ان يكون تداخلي في مسألتك سبباً لزيادة الجور عليك . ثم القى عليهِ رداءهُ وخرج الى باب دارهِ

ومرّت الملكة على رجال الامير وخفرائهِ فرأتهم جميعاً شاكي السلاح كمن يتأهب للقتال فساءها ذلك وثار السخط في صدرها فلما وقعت عينها على الامير قالت أهلنا الحصن الملكي ايها الامير حتى نرى حاميتهُ بالسلاح الكامل أم قد اخطأنا الطريق فاتينا حصننا في لندن عوضاً عن ان نأتي منزل امير سوسن . فهمّ الامير بالاعتذار فقالت لا حاجة الى الاعتذار فلا بدّ لنا من حسم هذا الخلاف الذي بينك وبين احد كبار امرائنا ومن لومكما كليكما لوماً عنيفاً على ما تفعلان من حشد الرجال والتأهب للقتال وانتما في جيرتنا بل ضمن دائرتنا . اما الآن فقد سررنا برجوع عافيتك وتحسُّن صحتك ولو

كان ذلك قد تمَّ لك على يد طبيب آخر غير طبيبنا — اليك عن الاعتذار — فقد علمنا كيف حصل ذلك وادَّبنا الفتى رالي على ما فرط منهُ . هذا والشيء بالشيء يذكر أنَّا عزمنا ان نلحق رالي المذكور بحاشيتنا فقد توسَّمنا فيهِ من الذكاء والنجابة ما يؤّهلهُ لان يكون في دائرة غير دائرة الحرب والكفاح التي يعيش فيها رجالك

فطأطأَ الامير راسهُ علامة القبول والامتثال للاوامر وهو لا يدري ما الذي فعلهُ رالي حتى نال هذا الاكرام ثم الحَّ عليها بقبول الشراب فأبت وبعد ما حدثتهُ برهةً قامت وانصرفت هي ومن معها وغادرت الامير ورجالهُ يضربون اخماساً لاسداس من مجافاتها ويتخوَّفون مَّما سيكون

(ستأْتي البقية)

الماسون الاحرار والجزويت المنافقون

طلب الينا البشير في عدد ٩١٦ منهُ ان لا نكتفي بمدح الماسونية قولاً بل ننبئهُ باعمالها "ليرى ضوءها جميع الشعب فيصدق حينئذٍ ان فيها اعمالاً صالحة فعلاً لا كلاماً فقط رناناً خداعاً" هذه هي عبارتهُ بحروفها ولم ندرِ ما الذي حمل طرطاس كبير جزويت بيروت ان يتهمنا بهذه التهمة الكاذبة في بشيرهِ وهي اننا نكتفي بمدح الماسونية قولاً . فنحن لم نمدح الماسونية لا قولاً ولا كتابةً اذ هي في غنًى عن مدحنا لأن مبادئها انما هي المبادئ التي اقرَّ على مدحها جميع الناس الاَّ المنافقون . ونحن لم نكتب كلمة في مدحها وانما كتبنا ما كتبنا تكذيباً للتهم الباطلة التي يتهمهم بها اعداءُ الحق والفضيلة للتمويه على

عقول البسطاء والسذَّج من عامَّة الناس. ثم ان طرطاس لم يكتفِ بما تقدَّم من الكلام بل جعل يعيرّ الماسونية بانها لا تعمل اعمالاً خيرية ولا تفتح مدارس ولا مستشفيات ولا شيئًا مما يفعلهُ الجزويت وغيرهم . ويطلب منَّا ان نأتيهُ بذكر اعمالٍ صالحة يعملها الماسون ان كنَّا من الصادقين وفي الدفاع عنهم محقّين . فليعلم طرطاس ان فخر الماسون الاتضاع وان صدقاتهم يتصدَّقون بها من مالهم الخاص ولا يستعطونها من غيرهم من الناس وانهم يجرون في تصدقهم وعملهم للخير على افضل قاعدةٍ ادبيَّةٍ يجري عليها المحبّون البرّ والاحسان وهي القول الشريف "اذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تفعل يمينك" فبهذا يفتخرون لا بما يفعلهُ المراؤون الذين اذا راموا عمل اقل الاعمال الخيرية وزَّعوا الاعلانات وصوَّتوا ببوق بشيرهم في الجامع والازقَّة والشوارع لكي يمجَّدوا من الناس وطنطنوا بذرَّةٍ يأتونها من الملح ليخفوا وراءها طودًا يرتكبونهُ من المنكر والقبيح . وهل يجهل طرطاس وقومهُ الجزويت ان الماسونية تعمل اعمالاً خيرية عظيمة وتتصدَّق بصدقاتٍ قلَّما يُسمَع بمثلها وجواسيسهم مبثوثة في طول الارض وعرضها تنقل اليهم ما خفي وما اشتهر من الاخبار . وهل يسع طرطاس وقومهُ انكار ذلك وقد نقل المقتطف الاغرّ في شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٤ عن بشير الجزويت انفسهم ما فعلهُ الماسون في العالم سنة ١٨٨٠ . فقد ذكر البشير نفسهُ ان الماسونية انفقت في تلك السنة على مساعدة الفقراء وغيرها الف الف و ٢٨٥ الف و٩٦٣ الف فرنك . فهذا يا طرطاس ما جاء في بشيرك وهذا الذي اعلنتهُ انت وطغمتك على رؤُوس الملا وابلغتهُ مسامع القاصي والداني . فهل هذا يا طرطاس يدل على

"اعمال صالحة فعلاً او هو كلامٌ رنّانٌ خدّاع" فان كان يدل على اعمال برٍ واحسان فقد قطع الحق السنة الجزويت المنافقين الذين يفتخرون باعمالٍ ليست من مالهم بل من اموال المحسنين ويتباهون بها ويطنطنون وما هم فيها الأَّ أجرى متعيشون. ويعيّرون الماسون لانهم لا يطلبون المجد من الناس على اعمال البرّ التي يعملونها لوجه الله تعالى وحباً بالقريب. وان كان لا يدل على عمل برٍ واحسان بل هو كلامٌ خدّاع رنّان فهذا هو كلامكم انتم ياطرطاس وانت لا تجهل ان الكلام من صفات المتكلِّم

هذا والقارئ اللبيب يعلم ان من كان مثل طرطاس رئيساً للجزويت المنافقين لا يتصل الى منصب هذه الرئاسة الأَّ بعد طول الاختبار ووفور الاطلاع والدهاء فليس يجهل ان الماسون الانكليز انشأوا منذ مئة سنة تماماً مدرسة لتربية البنات وتهذيب اليتيمات يعلمون فيها ٢٤٥ بنتاً ويكسونهنّ ويطعمونهنّ ويأوونهنّ مجاناً لوجه الله ومدرسةً لتربية الصبيان يعلمون فيها ٢٥٨. تلميذاً ويقدمون لهم كل لوازمهم من القوت والكسوة والمأوى والكتب مجاناً ايضاً. وهذه النفقات ينفقونها من جيوبهم ولا يستعطونها من اموال غيرهم. فهل يفعل الجزويت في بيروت مثل هذه الفعال في مدرستهم التي بنوها من اموال المحسنين وجعلوا معظمها مساكن لاكثر من سبعين راهباً من رهبانهم وهم لا يقبلون التلامذة فيها الأَّ ليربحوا منهم ربحاً مالياً لا يربحهُ غيرهم من الذين يفتحون المدارس للربح المالي لا للبرّ والاحسان

وهل يجهل طرطاس وقومهُ ان الماسون الانكليز انشأوا في تلك المدينة عينها محلاً لاعانة العاجزين والارامل البائسات منذ سنين عديدة وهم يدفعون

من مالهم الخاص رواتب سنوية لثلاثمائة وخمسين فقيرًا وفقيرةً على معدّل ٤٠ ليرة انكليزية للفقير و ٣٦ ليرة للارملة سنويًا. فهل يفعل جزويت بيروت احسن من هذه الافعال وهم يجمعون الاموال من المتصدّقين بحجّة انهم يعينون بها الفقراء والمحتاجين من خوارنة الشرق ثم ينفقونها على بناء مساكنهم الفخيمة وعلى مأكلهم ومشربهم من اللحم والخمر وعلى ما يرقي مصالحهم وينفذ اغراضهم مثل انشاء البشير ونحوهِ . ويقولون لفقراء الخوارنة وغيرهم خذوا البشير عوضًا عن الدريهمات التي تسد رمقكم

والذي يبحث قاصدًا المشاركة في عمل البرّ والاحسان يجد ان الماسون الانكليز انشأوا في تلك المدينة عينها ايضًا محلًّا لاغاثة المصابين والعاجزين وقد بلغت نفقاتهم عليهِ ١٠٦٨٣ ليرة انكليزية سنة ١٨٨٦ . وقد عدلوا ان ماسون الانكليز ينفقون على البر اكثر من خمسين الف جنيهًا انكليزيًّا كل سنة ومنازل البر والخير والتعليم والاحسان التي شادوها شاهدة كلها بصدق ما نقول ولا يسعِ الخصم انكارها. فهذه بعض فعال الماسونيَّة عند قومٍ من الاقوام ولكن من من الناس سمع الماسون يطنطنون بها ويؤفون او رآهم اذا ألفوا او صنّفوا او طبعوا كتابًا ينشرون لا نفسهم الرايات ويفتخرون بتلك المؤلّفات كما يفعل جزويت بيروت الذين لم ينشروا كتابًا مفيدًا الاَّ ممَّا خطتهُ لهم اقلام ابناء البلاد من الماسون وغيرهم وممَّا علموا ان طبعهُ يعود عليهم بالربح الفاحش فيسابقون المؤلّفين من الوطنيين الى الربح ويزاحمون باعة الكتب ويضيّقون عليهم ابواب الرزق ثم يفتخرون بان نشرهم الكتب في هذه الاوطان صادرٌ عن حبهم للبر والخير والاحسان . فليتأمل العاقل في نفاق قوم

طرطاس وليعذ بالله من الكذاب الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس

والظاهر ان طرطاس وقومهُ الجزويت قد وضعوا العيون على تركات بعض العجائز الغنيّات فيريدون ان يجعلوا نجاح الماسونيّة ذريعةً الى التمويه على عقولهنّ واقناعهنّ بان ترك اموالهنّ للجزويت يأول الى خلاص نفوسهنّ ومجد الله الاعظم بمقاومتهم للماسون كما هي عادة الجزويت في جمع معظم ثروتهم التي لا تفوقها ثروة حتى اضطرّت الحكومة الفرنسويّة ان تصدر نهيها عن مثل هذه الافعال وتوعّدت مرتكبيها بالعقاب الشديد قبل طردها للجزويت بزمان طويل . ولعلّ هذا هو ما يحمل البشير على الاستقصاء منا عن نجاح الماسون واسماء الذين انضموا الى الماسونية في المشرق . غير انّا لما كنّا وعدنا في ما كتبناهُ قبلاً بايفاء الكلام عن اعتبار المشارقة للماسونيّة نقول لاقناع القارىء باكاذيب الجزويت المنافقين وفساد تهمهم ان أنبه المشارقة عقلاً وقدرًا واعزّهم نفسًا واحسنهم دينًا ودنيا يوقرون الماسونيّة كما يوقرها امثالهم من اهل المغرب . وكفانا برهانًا على انها جمعيّة ادبيّة شريفة المقاصد لا تتعرّض لدين ولا لسياسة ان المغفور لهُ الجليل القدر والشان الطيب الذكر الامير عبد القادر الجزائري كان عضوًا فيها وتقواهُ واتضاعهُ وسموّ عقلهِ وحسن طويتهِ اشهر من نارٍ على علمٍ واذكر اني تشرفت بزيارتهِ يومًا وكنت احدثهُ عن نجاح الماسونية في الشرق فتهلل وجههُ طربًا وبشرًا سقى الله رمسهُ غيث الرحمة والرضوان . وكذلك افاضل زماننا المرحومون شريف باشا وراشد باشا ومحمود باشا الفلكي والحاج حسين بيهم فكلهم من الذين شهد لهم الخاص والعام بالاتصاف باحسن الصفات واجل المناقب

هؤلاء من المسلمين ومن المسيحيين الجمُّ الغفير من صفوة ابناء المشرق على اختلاف طوائفهم وفي مقدمتهم طائفتنا الموارنة والكاثوليك كالمرحومين البكوات عمُّون والدكتور يوسف الجلخ وناصيف بك الجزيني وميخائيل افندي نعمة ونقولا بك المدوَّر وآخرين كثيرين غيرهم. ومن الروم الارثوذكس العدد العديد وكذلك من الانجيليين . ومن الدروز المرحومون الامير محمد والامير ملحم ارسلان وحسن بك خضر واخوهُ الدكتور محمد خضر . هؤلاء كلهم وآخرون غيرهم من نخبة اليهود والمتاولة قد توفاهم الله الى رحمته والاحياء تضيق عن ذكر اسمائهم بطون الاوراق

فهؤلاء ياطرطاس بعض رجال الماسونية في الشرق فجئني بمثلهم من رجال طغمتكم . هؤلاء ياطرطاس معروفٌ مقامهم وحسبهم ونسبهم فكم منكم يُعرف لهُ حسبٌ او نسبٌ . ما قولك الآن ياطرطاس أكان اولئك الافاضل المرحومون ساعين في تقويض اركان الدين والالفة والعمران في العالم كما قلتم أم انتم كاذبون . أكانوا عبَّادًا لابليس — اذا دعوا لمهندس الكون الاعظم وجهوا دعاءهم الى ابليس كما ذكرتم في عدد ٩٢٠ من بشيركم المنافق استغفر الله العلي العظيم تعالى عما يقولهُ الجزويت الكافرون علوًّا عظيمًا — أم انتم قوم منافقون ثالبون نمَّامون . لو كان عندكم نفوس ابيَّة وضمائر حيَّة لسد الحياء افواهكم ولجم الصدق السنتكم واقلامكم عن نشر هذه الاكاذيب ولكنكم ربيتم على ان تبيعوا حرّيتكم وضمائركم وتكونوا آلات عمياء في يد اكابركم ففاتت منكم حمية الرجال وشيم الكرام وصرتم لا تخافون الله ولا تستحون من انسان

هذه حجَّتنا عليكم فادفعوها ان كنتم صادقين واجيبونا أكان اولئك

المرحومون الذين ذكرناهم والذين حازوا المراتب العليا في الماسونية اناساً تصدق عليهم اوصافكم للماسونية ام تصدق عليهم اوصافنا لها . فان كنتم صادقين اجبتم صريحاً بلا محاولة ولا روغان ولم تخافوا في الحق لومة لائم والّا فان رغتم في الجواب وحاولتم الفرار من وجه الصواب فقد ثبت عليكم ما هو مشهور عنكم من الكذب والخداع والنفاق والله يكره القوم المنافقين

الرياض السندسيّة في الاخبار الأندلسيّة

وهو تاريخ الاندلس من لدن فتح العرب لها الى حين خروجهم منها

المقدّمة

امّا بعد فلمّا كان تاريخ عرب الاندلس من الطف تواريخ العرب اخباراً واعظمها نفعاً واجلّها اعتباراً لِما حوى من وصف بأسهم في حروبهم وعزّتهم في ملكهم وسبقهم في العلوم والفنون وتقدّمهم في الصناعة والحضارة وكانت الكتب المتداولة في تاريخهم لا تفي بحاجة اكثر القرّاء في يومنا إمّا لمبالغتها في التطويل والاطناب اولزيادة اختصارها وقلّة الاسهاب او لعدم التثبت في العلل والاسباب سألنا كثيرون تأليف كتاب يفي بالمطلوب فاقتطفنا هذا المؤلّف من كتب عديدة من كتب العرب والعجم متحرّين فيه التدقيق في الرواية والتثبت في النقل والتحقيق في ايراد الحوادث والاسباب مراعين الفائدة والطلاوة وحال القراء ملتزمين الاعتدال في المشرب والمقال احترازاً من التطويل المملّ والاختصار المضر المخلّ * وسمّيناهُ الرياض السندسيّة في الاخبار الاندلسيّة ورجاؤنا انهُ يروق القرّاء الكرام وانهم يقابلون هفواتنا بالاغضاء والسلام

الفصل الأوّل

في وصف بلاد الأَنْدَلُس وذكر طرف من تاريخها قبل الفتح الاسلامي

الأَنْدَلُس وفي الاسبانيّة اندلوشيا اسم لبلاد متسعة واقعة في الجنوب من مملكة اسبانيا بين عرض ٣٦ و٣٨ درجة شمالاً وطول درجة ونصف وسبع درجات ونصف غربًا ومساحتها ٢٧١٥٣ ميلاً مربعًا وهي البلاد التي احتلّها العرب عند فتحهم بلاد اسبانيا كما سيجيء وقد توسّعوا في اطلاقها فسمّوا بها كل ما تملكوهُ من اسبانيا ولذلك تسمّى اسبانيا عندهم بالاندلس من باب تسمية الكلّ باسم البعض

وأَصل اندلوشيا فندالوشيا وسُمِّيت بذلك من الفندالة وهم امّة احتلّت الاندلس في القرن الخامس للميلاد. وهذا هو المحقّق في تسمية الاندلس وقد روى المؤرخون غير ذلك ممّا لم يثبت عند المحقّقين

وتقسم اسبانيا الى خمسة عشرة قسمًا وهي قستيلة اوقشتالة الجديدة ومن مدنها مدريد عاصمة اسبانيا وطليطلة وتسمى اليوم طوليدو. وقستيلة اوقشتالة القديمة ومن مدنها بلد الوليد. ولامنشه. ولاون او ليون ومن مدنها لاون وسلمنكه. واستورياس. وجليقية. واسترامدورة ومن مدنها بطليوس. والأندلس ومن مدنها اشبيلية وقادس وقرطبة. وجيّان وغرناطة والمرية ومالقة. ومرسية ومن مدنها مرسية. وبلَنسية ومن مدنها بلنسية وقسطلون. وقَطَلُونية ومن مدنها بَرْشلونة وطرّكونة وجيرونة. وارَغون ومن مدنها سرقسطة. ونوّارة (وبالاسبانية نافار). وبسكي

وجبال اسبانيا خمس سلاسل اشهرها جبال البرانس او جبال البرن الفاصلة ما بينها جنوبًا وبين فرنسا شمالاً وجبال الشارات (المسماة سيرًا نفادا) في الأندلس الحقيقية وبتخلَّل هذه الجبال سهول فسيحة ترويها انهار كثيرة. وهواؤُها مختلف باختلاف اراضيها ويغلب عليهِ الاعتدال وتربتها اخصب تربة في البلاد الاوربيَّة

وقد وصفها كتَّاب العرب فابدعوا واغربوا: قال الرازي هي "متوسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة مخصبة القاعة منبجسة العيون الثرار منفجرة الانهار الغزار قليلة الهوام ذات السموم معتدلة الهواء اكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادةً منكرة تضرُّ بالابدان وكذا سائر فصولها في اعمّ سنيها تأتي على قدرٍ من الاعتدال وتوسُّط من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيهُ يبادر بباكورهِ كما ان الثغر وجهاتهِ والجبال التي يخصُّها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات متصلة فيها كل اوان"

واما مدن الاندلس فكانت تُعدُّ في ايام العرب شبهَ ممالك مستقلة باعمالها وتقسم الى متوسّطة وشرقيَّة وغربيَّة فالمتوسطة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية وما لقة باعمالها. والشرقيَّة مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى باعمالها. والغربيَّة اشبيلية وماردة واشبونة وشلب باعمالها وسنذكر هنا وصف بعض هذه المدن بوجه الاختصار فنقول

كانت قرطبة قصبة الأندلس في ايام بني أُميَّة وسيأتي وصفها مطوَّلاً ان شاء الله . وكانت غرناطة (ومعناها الرمَّانة) قصبة المرابطين وغيرهم

من امراء المسلمين . قال الشقندي اما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ... ولو لم يكن لها الاَّ ما خصَّها الله تعالى بهِ من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها . وفيها قيل

غرناطــةٌ ما لها نظيرٌ ما مصر ما الشام ما العراق
ما هي الاَّ عروس تجلى وتلك من جملة الصداق

وفي قبليها جبل شلير اعلى جبال الشارات المار ذكرها وهو جبل لا يفارقهُ الثلج صيفًا ولا شتاء وفيهِ يقول بعض المغاربة وقد المَّهُ بردهُ

يحلُّ لنا تركُ الصلاةِ بارضهم وشربُ الحميَّا وهي شيءٌ محرَّمُ
فرارًا الى نارِ الجحيم فانهــا اخفُّ الينا من شلير وارحمُ

ومن اعمالها وادي آش او وادي الاشات وكانت مدينة جليلة احدقت بها البساتين والانهار وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادي الاشاتِ يهيجُ وجدي كلَّما اذكرتُ ما افضت بكَ النعماء
لله ظلُّكَ والهجير مسلَّطٌ قد بّردت لفحاتــهِ الانداء
والشمسُ ترغبُ ان تفوزَ بلحظةٍ منهُ فتطرف طرفهَــا الافياء
والنهرُ يبسمُ بالحبابِ كأنهُ سلخٌ نضتهُ حيةٌ رقشــاء
فلذاك تحذرهُ الغصونُ فميلها ابدًا على جنباتــهِ ايماء

وكانت اشبيلية واسمها اليوم سفيل من اعظم مدن الاندلس معتدلة الهواء حسنة المباني ونهرها يصعد المدُّ فيهِ كثيرًا ثم يجسر وفيهِ يقول ابن سفر

شقَّ النسيمُ عليهِ جيبَ قميصهِ فانسابَ من شطَّيهِ يطلبُ ثارهُ
فتضاحكت ورقُ الحمامِ بدوحها هزءًا فضمَّ من الحياء ازارهُ

قيل ولما انتقلت دولة بني مروان من الشرق الى الاندلس، كانوا يلهجون بالشام حبًّا لها فسمّوا مدنًا شتى من الاندلس باسماء مدن في الشام ومن ذلك سمّوا اشبيلية باسم حمص لان جند حمص نزلها وكانت موصوفة بتينها وزيتونها وفي ذلك قيل

وحمص لا تنسى لها تينها واذكر مع التين زياتينها

وبها جبلٌ يُعرف بالشرف شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولاً وعرضًا لا تكاد تشمس فيهِ بقعة لالتفاف زيتونهِ . وهي مبنية على ضفة النهر الكبير وكان عليهِ جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رائجة واكثرها بالزيت

وكانت طليطلة قصبة بني ذي النون من ملوك الطوائف الذين ملكوا على الاندلس بعد الامويين كما سيجيء. وكان بها بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان وقيل فيها

زادت طليطلةٌ على ما حدَّثوا بلدٌ عليهِ نضارةٌ ونعيمُ
الله زيّنهُ فوشّح خصرهُ نهر المجرَّةِ والغصون نجومُ

وكانت المرية وهي على ساحل البحر اكثر مدن الاندلس بمتاجر وذخائر وحمامات وفنادق وصناعات وخنادق وكان اهلها اكثر اهل الاندلس مالاً وفيها دار صناعة الاندلس . ومن اعمالها مدينة برجة على وادٍ مبهج يعرف بوادي عذراء . وكانت تسمّى بهجة لبهجة منظرها وفيها قيل

رياضٌ تعشقها سندسٌ توشّت معاطفها بالزهَرْ
مدامعها فوق خدّي ربا لها نظرةٌ فتنتْ من نَظَرْ

وكلُّ مكانٍ بها جنّةٌ   وكلُّ طريقٍ اليها سقرْ

وكانت مالقة مشهورة بحسن تينها ويجلب منها حتى الى الهند والصين وفيه قيل

مالقة حييتَ ياتينَها   الفلك من اجلكَ ياتينها

نهى طبيبي عنهُ في َعلّتي   ما لطبيبي عن حياتي نهى

وقد كثر وصف الكتّاب لخيرات الأندلس ومعادنها وتفنّن الشعراء في مدح محاسنها وقد اجاد ابن سفر المريني في وصفها حيث قال

في ارضِ اندلسٍ تلتذُّ نعماء   ولا يفارق فيها القلبَ سرّاء

وليس في غيرها بالعيش متنفعٌ   ولا تقومُ بحقِ الأنس صهباء

واينَ يُعدَلُ عن ارضٍ يحضُّ بها   على الشهادة ازواجٌ وابناء

واينَ يعدَلُ عن ارضٍ تحثُّ بها   على المدامةِ امواهٌ وافياء

وكيفَ لا تبهجُ الابصارَ رؤيتُها   وكلُّ ارضٍ بها في الوشيِ صنعاء

انهارها فضةٌ والمسك تربتها   والخزُّ روضتها والدرُّ حصباء

وللهواء بهَا لطف يرقُّ بهِ   من لا يرقُّ وتبدو منهُ اهواء

ليس النسيمِ الذي يهفو بها سحرًا   ولا انتثار لآلي الطلِّ انداء

وانما أَرَجُ الندِّ استثار بها   في ماء وردٍ فطابت منهُ ارجاء

واين يبلغ منها ما أُصنّفهُ   وكيف يحوي الذي حازتهُ احصاء

قد ميّزت من جهات الارض حين بدت   فريدةً وتولّى ميزها الماء

دارت عليها نطاقًا ابحرٌ خفقت   وجدًا بها اذ تبدّت وهي حسناء

لذاك يبسم فيها الزهرُ من طربٍ   والطير يشدو وللاغصان اصغاء

فيها خلعتُ عذاري ما بها عوضٌ   فهي الرياضُ وكل الارضِ صحراء

وقال الآخر

لله اندلسٌ وما جمعت بها من كل ما ضمّت لها الاهواء
فكأنّما تلك الديارُ كواكبٌ وكأنّما ملك البقاع سماء
وبكلّ قطرٍ جدولٌ في جنّةٍ ولعت بهِ الافياء والانداء

اما سكان اسبانيا فاصلهم اقوامٌ من الكلت كانوا متفرقين في البلاد. فاتاهم الفينيقيون قبل الميلاد بالف سنة قصد التجارة بمعادنهم الفضيّة وحاصلات ارضهم وبنوا على سواحلهم مدناً ومهاجر كمدينة طرطوشة (المظنون انها ترشيش المذكورة في التوراة) وجزيرة قادس التي كانت في ايام العرب من اعمال اشبيلية ويقال انهم اقاموا عند مضيق جبل طارق عمودين يعرفان بعمودي هرقل والصحيح انهما صخران شاهقان. ثم جاء اليونان واستوطنوا اماكن شتّى من اسبانيا في جهات قطلونية وبلنسية. وتلاهم القرطاجنيون فاخضعوا قبائل عديدة في سواحل اسبانيا الجنوبيّة والشرقيّة وبنوا هناك مدينة سمّوها قرطاجنة الجديدة. ولما قويت شوكتهم في اسبانيا ضايقوا اليونانيين فاستغاث اليونان بالرومانيين فاوقف الرومانيون القرطاجنيين على حدودهم. ثم تحرّك القرطاجنيون فانتشبت بينهم وبين الرومانيين الحروب المعروفة في التاريخ بالحروب الفونية الثانية فقهرهم الرومانيون وطردوهم من اسبانيا وما انفكوا يحاربون سكانها حتى اخضعوها بعد ازمان متطاولة ومواقع هائلة. وبقيت اسبانيا بيد الرومانيين حتى سقطت مملكتهم بنزول برابرة الجرمانيين عليهم. وفي سنة ٤٠٦ للميلاد قدم السواف من هؤلاء البرابرة الى اسبانيا واذلّوا الرومان وانشأوا مملكة في جليقية في الشمال الغربي من اسبانيا وهم الجليقيون او الجلالقة المذكورون في تواريخ العرب. وجاء اليونان الهلانيون ايضاً وامتلكوا جانباً

من اسبانيا واتى الفندالة المذكورون آنفًا ونزلوا في بتيكا فسمّيت باسمهم ومن ذلك الاندلس على ما مرَّ بهِ الكلام . وفي تلك الاثناء اتى القوط واصلهم من شمالي اوربّا وقهروا اليونان . ورحل الفندالة من اسبانيا وانشأُوا مملكةً في شمالي افريقية. وقويت شوكة القوط في اسبانيا حتى طردوا اليونان وتغلّبوا على مَن سواهم وثلوا عرش الجلالقة وضمُّوا شعوب اسبانيا الى شعب واحد

واشتهر بين القوط رئيسهم افريك وكان رجلاً عاقلاً سنَّ لاسبانيا سنةً حسنة واجلى الرومانيين عن اسبانيا فانتخبهُ قومهُ ملكًا . وكان من اصطلاح القوط ان يُعيَّن الملك بالانتخاب لا بالارث فافضى ذلك الى النزاع والتحزُّب والفتن والحروب الاهليَّة ولذلك كثرت مظالمهم وفسدت قلوب الناس عليهم. وفي اواخر القرن السابع توفي الملك وانتُخب آخر عوضًا عنهُ واسمهُ رودريك (ويسميهِ العرب لذريق او رذريق) فاغضب ذلك فريقًا من خصومهِ فخرجوا عليهِ واستنجدوا بالعرب من شمالي افريقية فانجدهم العرب وفتحوا الاندلس. وقيل ان السبب في قدوم العرب غير ذلك وهو ان ملكًا من ملوك القوط يقال لهُ فيتتزا (فيطشة) وَجَد على دوق قرطبة ونكبهُ بقلع عينيهِ وكان للدوق ولد اسمهُ رودريك فقام للاخذ بثار ابيهِ وقاتل الملك فيتتزا وقتلهُ واغتصب المُلك منهُ سنةَ ٧١٠ للميلاد. فحنق اولاد الملك المقتول واعوانهُ ودسُّوا الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على الغرب فكتب الى الوليد يستأذنهُ في فتح الاندلس فأذِن لهُ وكان ذلك سبب فتحها. وهذا القول الاخير ينافي ما قيل من ان عادة القوط كانت تنصيب الملك بالانتخاب والاول يطابقهُ . والله اعلم

الفصل الثاني

في فتح الأندلس على يد طارق

لما كانت سنة ستٍ وثمانين للهجرة الموافقة سنة ٧٠٥ للميلاد تولّى الوليد بن عبد الملك الخلافة وكان سرير خلافتهِ في دمشق . واستعمل على افريقية بطلاً مجرَّبًا في الحرب والقتال اسمهُ موسى بن نُصَير وكان قد فتح افريقية في خلافة عبد الملك ابي الوليد وقهر مَن فيها من قبائل البربر فاخضع شمالي افريقية كلهُ الاَّ بلاد طنجة في اقصى المغرب حيث يدخل ساحل افريقية في البحر حتى يكاد يلتقي بساحل اوربا مما يلي اسبانيا ولا يفصل بينهما الاَّ بوغاز ضيق هو المسمَّى اليوم بوغاز جبل طارق وكان يسمَّى قبلاً بوغاز هرقل. وعلى عدوتهِ الجنوبية بافريقية مدينتان الواحدة سبتة والاخرى طنجة . فاراد موسى بن زياد قهر هذه البلاد ايضًا والحاقها بمما لك المسلمين وهي اصلاً للروم ولكن دانت للقوط المالكين على اسبانيا لقربهم و بعد الروم عنها وعليها يومئذٍ عامل اسمهُ يليان او جايان

فقام موسى بعساكر المسلمين من منزلهِ بالقيروان وغزا المغرب الاقصى ودوَّخ اقطارهُ واوغل في جبال طنجة واخذ طنجة بعد قتال شديد وخلَّف فيها مولاهُ طارق بن زياد الليثيّ في عدد من المقاتلة . فأسلم من كان بطنجة واعمالها من البربر واما القوط النصارى فهاجروها وعبروا البحر الى العدوة الشمالية حيث ابناء امتهم في بلاد الاندلس. ولما رأى يليان انهُ لايستطيع دفع المسلمين لاذ الى مدينة سبتة وتحصَّن فيها فقاتلهُ موسى بن نصير فوجدهُ في نجدةٍ وقوَّةٍ وعدَّةٍ فلم يطق قتالهُ ورجع الى طنجة واخذ في شن الغارات والتضييق

على ما حولهم آملاً ان يفتح سبتة جوعاً اذ لم يستطع فتحها عنوةً ولكن السفن كانت تأتيها بالميرة والامداد من الاندلس لقربها منها وسهولة الوصول اليها فظلّت سبتة في قبضة القوط حتى مات ملك الاندلس وانتُخِب رودريك (لذريق) ملكاً عوضاً عنهُ وخانهُ اولاد الملك الاول واعوانهُ كما تقدم في الفصل الاول

والظاهر ان يليان حالف خصوم الملك وذكر المؤرّخون انهُ فعل ذلك انتقاماً منهُ لانتهاكهِ عرض ابنة لهُ بارعة الجمال كانت تربَّى في دار رودريك على جاري عادتهم . فاعلمت البنت اباها بفعلة رودريك الشنعاء فخرج من مدينة سبتة في اصعب اوقات الشتاء وركب البحر ويسميهِ العرب بحر الزقاق واتى الاندلس ودخل طليطلة قاعدة ملوك القوط . فلما رآهُ رودريك انكر عليهِ مجيئَهُ في مثل ذلك الوقت وسأَلهُ عما لديهِ فذكر خيراً واعتلَّ بذكر زوجتهِ وشدَّة شوقها الى رؤْية ابنتها التي عندهُ والحاحها عليهِ في احضارها لتراها قبل موتها وسأَلهُ إخراجها اليهِ وتعجيل اطلاقهِ للمبادرة بها الى امها ففعل بعد ما توثّق منها بالكتمان وافضل على يليان فرجع بابنتهِ الى سبتة

ولم يلبث يليان الاَّ قليلاً حتى مضى الى موسى بن نصير وكلَّمهُ في غزو الاندلس ووصف لهُ حسنها وفضلها وهوَّن عليهِ حال رجالها ووصفهم بضعف البأْس وقلة الاتحاد فشوَّق موسى الى ما هناك وعاقدهُ على الانحراف الى المسلمين . وخاف موسى ان يكون ذلك مكيدةً من يليان اذ كان الدَّ اعدائهم قبل بيسير من الزمان فسامهُ مكاشفة اهل الاندلس بالدخول اليها وشن الغارة فيها . ففعل يليان ذلك وجمع جمعاً من اهل سبتة فدخل بهم في مركبين وحلَّ على ساحل الجزيرة الخضراء وتُسمَّى اليوم بالجزيرة واغار

وقتل وسبى وغنم واقام بها اياماً ثم رجع بمن معهُ سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا لهُ واطمانوا اليهِ

وكان ذلك عقب سنة تسعين للهجرة فكتب موسى بن نصير الى الخليفة الوليد يخبرهُ بالذي دعاهُ اليهِ يليان من امر الاندلس ويستأذنهُ في اقتحامها . فكتب اليهِ الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرّر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال . فراجعهُ موسى انهُ ليس ببحرٍ زاخر وانما هو خليج منهُ يبين للناظر ما خلفهُ . فكتب اليهِ وان كان فلا بدّ من اختبارهِ بالسرايا قبل اقتحامهِ فبعث موسى عند ذلك رجلاً من مواليهِ من البرابرة اسمهُ طريف في اربعماية رجل معهم مئة فارس . فسار بهم طريف في اربع سفن ونزل بالجزيرة الخضراء ثم اغار على اهلها فاصاب سبياً حسناً ومالاً جسيماً وقفل راجعاً وذلك في شهر رمضان سنة احدى وتسعين (٧١٠ ميلادية)

فلما رأى موسى ما نالهُ الاسلام من اهل الاندلس وباشروهُ من طيبها عقد لمولاهُ طارق وبعثهُ في نحو اثني عشر الفاً من المسلمين اكثرهم من البربر وبعث معهُ يليان . فصيّر طارق الجيش عسكرين احدهما على نفسهِ وركب بهِ السفن ونزل جبلاً نُسب اليهِ فسمّي جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي فنزل بهِ الجزيرة المسمّاة باسمهِ وادار وا الاسوار على انفسهم للتحصّن . وكان رودريك (لذريق) ملك الاندلس غائباً حينئذٍ يغزو بارض بنبلونة وقد استخلف على الاندلس رجلاً يقال لهُ تدمير فلما نزل طارق بلادهم كتب الى رودريك يخبرهُ بما كان فعاد بجموعهِ الى مدينة قرطبة حيث توافت اليهِ الحشود والجنود حتى بلغوا نحو اربعين الفاً . ثم وجّه رجلاً من اصحابهِ قد

وثق بهِ ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم ويعاين حركاتهم ومراكبهم فرجع واخبرهُ انهم احرقوا مراكبهم اياسًا لانفسهم من التعلُّق بها واصطفُّوا في السهل موطنين انفسهم على الثبات فقام بجنودهِ لملاقاة المسلمين

وبلغ طارقًا دنوُّهُ فقام في اصحابهِ وحثَّهم على الحرب قائلاً. "ايُّها الناس اين المفرُّ البحرُ وراءكم والعدوُّ امامكم وليس لكم الاَّ الصدق والصبر. واعلموا انكم في هذه الجزيرة أَضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشهِ واسلحتهِ واقواتهُ موفورة وانتم لا وزر لكم الاَّ سيوفكم ولا اقوات لكم الاَّ ما تستخلصونهُ من ايدي عدوكم وان امتدَّت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرًا ذهب ريحكم وتعوَّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت بهِ اليكم مدينتهُ الحصينة. وإنَّ انتهاز الفرص فيهِ لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت. واني لم أُحذِّركم امرًا انا عنهُ بنجوةٍ. أَبدأُ بنفسي. واعلموا انكم ان صبرتم على الأَشق قليلاً استمتعتم بالأَرفه الأَلذّ طويلاً فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم باوفى من حظي". وما زال يحرضهم بمثل هذا الكلام ويشوِّقهم الى اغتنام الحور الحِسان وقلائد الدرّ والمرجان والحلى المنسوجة بالفضة والعقيان ويحرك حميتهم بان الخليفة انتخبهم دون غيرهم من المسلمين ثقةً منهُ بارتياحهم للطعان ومجالدة الابطال والفرسان. حتى وثق منهم بالثبات واقتحام الاهوال

واما رودريك فالتقى بجيش طارق وطريف على وادي (نهر) لكة في كورة شدونة وكان جالسًا على سريرهِ وفوقهُ رواق ديباج يظلّلهُ وحولهُ غابةٌ من البنود والاعلام وبين يديهِ المقاتلة والسلاح. فاقبل عليهم طارق وطريف

في اصحابها عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبايديهم القسيّ العربيّة وقد تقلّدوا السيوف واعتقلوا الرماح . قال الرازي واتصلت الحرب بينهم ثمانية ايام ثم انتصر المسلمون . وقال في نفح الطيب ان انكسار رودريك كان بخيانة اولاد فيتزا (فيطشة) الملك الذي قبلهُ فانهُ ولّى احدهم ميمنة جيشهِ وآخر الميسرة فتظاهرا بالهزيمة وانحازا الى طارق على ان يردّ اليهم املاك ابيهم كما سبق الاتفاق بينهم . وكان رودريك على قلب الجيش فلما انهزم عسكرهُ فرّ هاربًا ولم يوقف لهُ على خبر ويقال ان الجراح اثقلتهُ فالقى نفسهُ في نهر لكة فمات غريقًا ووجد المسلمون فرسهُ سائخًا في الطين والحمأة . وتبعوا عسكر الاندلس وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وحازوا ما يجلّ قدرهُ من الحلى والحلل والغنائم

وتسامع الناس من اهل طنجة ونواحيها بنصر طارق وسعة المغانم فاقبلوا عليهِ من كل وجهٍ وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليهِ من مركبٍ وقشرٍ . وارتفع اهل الاندلس عن ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال . ونزل طارق باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليهِ فحاصرهم وفتح مدينتهم عنوةً وحاز منها الغنائم . ثم نازل اهل مدينة استجة وهم في قوّةٍ ومعهم فلّ عسكر رودريك فقاتلوهُ قتالاً شديدًا واكثروا القتل والجراح في قومهِ حتى قال المؤرخون ان المسلمين لم يلقوا فيما بعد حربًا مثلها في الاندلس . ولكنهم لم يرجعوا عنها حتى صالحوها وضربوا عليها الجزية . وذكر مؤرخو العرب في مصالحة استجة بعد امتناعها ان اميرها كان سيّئ التدبير فخرج يومًا وحدهُ الى النهر لبعض حاجاتهِ فصادف طارقًا هناك . فوثب عليهِ طارق وامسكهُ

وجاء بهِ الى المعسكر وهو لا يعلم من هو فكاشفهُ فاعترف انهُ امير المدينة وصالحهُ. وفي ذلك من غريب الاتفاق واغترار الامير ما يعسر على العقل قبولهُ

ووقع الرعب في قلوب اهل الاندلس ولا سيَّما لما رأَوا طارقًا يوغل في البلاد وكانوا يحسبون قبلًا انهُ جاء راغبًا في المغنم عازمًا على الرجوع فتطايروا الى المعاقل وصعد الاقوياء منهم الى طليطلة دار ملكهم وزاد طارق في ارهابهم أنهُ امر قومهُ في تفصيل لحوم القتلى من اهل الاندلس بحضرة الاسرى منهم وطبخها في القدور ليوهمهم بانهم ياكلونها كما اوهمهم طريف ايضًا . فجعل مَن ينطلق من الأَسرى يحدّثون قومهم بذلك فتمتلئ قلوبهم رعبًا

ثم قال يليان لطارق قد هزمت جيوش القوم ففرّق جيوشك في جهات البلاد وانا اوجّه معهم ادلَّاء مَهَرَة من اصحابي يكشفون لهم عوراتها واعمد انت الى طليطلة حيث معظم الاعداء واشغلهم عن النظر في امرهم قبلما يجتمعون الى أُولي رأْيهم. فقبل طارق رأْيهُ وكان رجالهُ قد غنموا خيولًا كفتهم وفضلت عنهم فبعث سبعماية فارس من استجة الى قرطبة تحت قيادة مولًى روميٍّ للخليفة الوليد بن عبد الملك اسمهُ مغيث . وبعث جيشًا الى مالقة وآخر الى غرناطة وسار هو في معظم العسكر الى كورة جيان قاصدًا طليطلة. فالذين توجهوا الى قرطبة اصابوا في طريقهم راعي غنم فاخبرهم ان عظماء اهلها رحلوا عنها الى طليطلة وبقي فيها اميرها في اربعماية فارس من حماتها مع ضعفاء اهلها وان سورها حصين عالٍ ولكن فيهِ ثغرةً دلَّهم عليها . فكمنوا في غيضة حتى جنَّ الظلام ثم اقبلوا رويدًا وعبروا النهر وكان قريبًا من السور فتسلق بعضهم حتى بلغ الثغرة ودلَّى عمامتهُ واعان غيرهُ بها وتعاونوا حتى كثروا على

السور. ثم هجموا على الحرَس وكانوا نائمين اتقاء للبرد والمطر فقتلوا نفرًا منهم وفتحوا باب المدينة. فدخل مغيث وقومهُ المدينة وملكوها عنوةً وفرَّ الامير برجالهِ وتحصَّن في كنيسةٍ غربي المدينة يأتيها الماء تحت الارض. فحاصرها مغيث برجالهِ زمانًا طويلًا ولم يقدر على فتحها حتى اهتدى الى القناة التي يأتيهم الماء فيها فقطع الماء عنهم. ولما ايقنوا بالهلاك دعاهم الى الاسلام او الجزية فابوا فاوقد النار عليهم حتى احرقهم احياء فسمّيت الكنيسة كنيسة الحرقى. وروى آخرون انهُ ضرب اعناقهم وهذا أبعد عن الاخلاق الوحشية. واما اميرهم ففرَّ فادركهُ مغيث وحبسهُ عندهُ ليقدم بهِ على الخليفة. ثم جمع يهود قرطبة الى مدينة قرطبة اذ كان يأمنهم دون اهلها النصارى

والذين توجهوا الى مالقة فتحوها ثم لحقوا بالذين توجهوا الى غرناطة وحاصروها وافتتحوها عنوةً. ثم ضمُّوا اليهود اليها وصاروا يفعلون كذلك في كل بلدٍ يفتحونهُ فيضمُّون يهودهُ الى القصبة مع قطعةٍ من المسلمين لحفظها ويمضي معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودًا زادوا عدد المسلمين لحفظ ما يفتحونهُ

ولما فرغوا من غرناطة مضوا الى تدمير وكانت قصبتها اريولة (الفيرا) ذات شأن في المنعة وكان اميرها رجلًا داهية عاقلًا فقاتلهم قتالًا شديدًا حتى قُتِل من قومهِ خلقٌ كثير فانهزم بيسيرٍ من اصحابهِ. ولما رأى انهم لا يغنون شيئًا أمر النساء بالظهور على السور في زي القتال متشبهات بالرجال وتصدَّر قدامهنَّ في بقية اصحابهِ يغالط المسلمين في قوَّتهِ على الدفاع. فكره المسلمون قتالهُ لكثرة من عاينوا على السور وعرضوا عليهِ الصلح فاظهر الميل اليهِ ونكَّر زيهُ ونزل اليهم بامانٍ متظاهرًا انهُ رسول فصالحهم على اهل بلدهِ ثم على نفسهِ وتوثق منهم.

ثم اخبرهم بحقيقة الامر واخذهم بالوفاء بالعهد وادخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الاَّ العيال والذرية فندموا على ما كان ولكنهم حفظوا الوفاء لهُ فسلمت كورة تدمير وصارت كلها صلحًا . ثم خلفوا رجالاً منهم في قصبتها ومضى الباقون الى اميرهم طارق لفتح طليطلة (ستأتي البقية)

"ليدحك الغريب لا فمك"

هذه الوصية من حِكَم سليمان الحكيم ومن الامثال عليها النادرة التالية وهي :

ذهب افلاطون يومًا لرؤية الالعاب الاولمبيَّة التي تجري في بلاد اليونان كل اربع سنوات مرة وكان صيتهُ قد انتشر في الآفاق وشمس مجدهِ تبهر الاقطار ونزل مع قومٍ يجهلهم ويجهلونهُ فما طالت اقامتهم معهُ حتى اختلب قلوبهم بلطفهِ وسباهم بكرم اخلاقهِ وشدَّة تواضعهِ ولم يكلمهم بكلمةٍ من العلم ولا الفلسفة ولما سألوهُ عن اسمهِ قال افلاطون ولم يزد . ولما انتهت الالعاب ورجعت الجموع الى اوطانها ذهب جيران افلاطون المذكورون الى اثينا لحاجات لهم ونزلوا بيتهُ فاكرمهم واحسن ضيافتهم فقالوا أنَّا جئنا اثينا لحاجات لنا اخصها رؤية فيلسوفكم الشهير المسمَّى باسمك فهل لك ان ترافقنا الى بيتهِ . فتبسَّم افلاطون واطرق حياءً وقال اني انا افلاطون المذكور فلما سمعوا ذلك تعجبوا وقالوا قد سمعنا بفضلك قبلما رأيناك فوجدناك خيرًا مما سمعنا بعد ما عرفناك

وردت الينا المرثاة الآتية للمغفور له البرنس حسن باشا شقيق سموّ خديوينا المعظّم بقلم جناب صديقنا الاديب الفاضل صاحب العزّة الياس بك خليل الباشا وهي

ما اختار ربُّك واصطفى الأحسنْ ... ذاك العزيزَ شقيقَ توفيقِ الزّمنْ
قد كانَ فردًا في الرجالِ بفضلهِ ... حتى تفرَّدَ بعدهُ فينا الحزنْ
قطفتْ ايادي البينِ اكرمَ زهرةٍ ... نبتَتْ على مجدٍ فكان لها فننْ
واغتالَ أثمنَ دُرَّةٍ من بيننا ... فغدا عليها الدمعُ ليسَ له ثمنْ
فقضى وما نقضي مآثر جودهِ ... ومضى وما تمضي لهُ عنا المننْ
يـا مفردًا نُشِرَتْ محامدُ حسنِهِ ... ما ضرَّ أنَّ بهاكَ أُدرجَ في الكفنْ
كفنٌ تودُّ قلوبنـا لو تفتدي ... عنهُ بديلاً حيثُ كنتَ لها سكنْ
خَطبٌ المَّ بنـا فاصبح عندهُ ... كلٌّ أمرهُ ولهُ حديثٌ ذو شجنْ
يا قادمـًا من دارِ غربتهِ ترى ... ماذا جلبتَ من البعادِ الى الوطنْ
فارقتنا درًّا وعدتَ فلم نجد ... بك غيرَ درٍّ من مدامعنا هتنْ
حملتهُ اكتافُ الرجالِ وطالما ... في صهوةِ العلياء قِدمًا قد قطنْ
تفديهِ بالارواح اهلُ بلادهِ ... إنْ كانَ لا يُفدى بها حسنٌ فمنْ
فعليهِ من جودِ المهيمنِ رحمةٌ ... وعلى قلوب صحابهِ سلوى ومنّ
قد سار مغفورًا لهُ حسنٌ الى ... جنّاتِ عدنٍ تاركًا دارَ المحنْ
لما أتى غُرفَ الجنانِ دعوتُ في ... تاريخهِ رضيَ الالهُ على حسنْ

سنة ١٣٠٥

اخبار ماسونية

كتب الينا جناب الغيور الوجيه نقولا افندي حجّي من بيروت يقول ان محفل فلسطين التابع لشرق اسكتلندا سيعود عن قريب الى افتتاح جلساته بعد ما توقّف مدّة عن الاجتماع بسبب غياب سعادة رئيسهِ وبعض اعضائهِ عن بيروت وإن الهمّة مبذولة في ترجمة قوانينهِ الى العربيّة

———

محفل السلام في مصر

انّ هذا المحفل الموقّر التابع لشرق ايطاليا الاعظم قد اظهر في السنتين الماضيتين ما طيّب القلوب من بذل المال للاحسان وترجمة القوانين وطبعها بالعربيّة وما ذكرنا ذلك الاّ لعلمنا انهُ عمل اعمالاً أُخرى كثيرة حسنة ولثقتنا انهُ مداوم على مثلها وقد انضمّ اليهِ في هذه الاثناء بعض من كبار مصر وعلمائها فزدنا املاً باتساع فوائدهِ

———

كتب الينا احد اخواننا الماسون في دمشق ان المحفل الاكبر الماسوني في رومية[1] رقّى عدة اخوان غيورين في محفل سورية بدمشق الى درجات عالية وارسل اليهم الدبلوما بهذه المنحة فنهنئهم على ما نالوهُ من علامات الترقي

———

أُنشئ حديثًا محفل جديد في اطنه تابع لشرق ايطاليا فنطلب لهُ التوفيق والنجاح .

———

بلغنا ان المحفل الماسوني في مدينة حلب المسمّى باسمها آخذ في الترقي والنجاح رغمًا عما يلاقيهِ من مقاومات ذوي الغايات ودسائس المنافقين

(١) لم يكن للماسون محفل كبير في رومية ولكن لما تسلط عليها ملك ايطاليا انشأوا هذا المحفل بجانب الفاتيكان

بكاء مع الباكين

اتفقت الوصايا الدينيّة والعواطف الانسانيّة على وجوب الحزن مع الحزانى والبكاء مع الباكين. وقد افتقدتنا العناية الالهيّة في هذه الايام بفقيدة كانت تعزية وعضدًا للكبار واماً وسندًا لاطفال صغار فرثى لبلوانا القريب والغريب ورقّ لنا القاصي والداني. وكنّا نظن – كما يظن كل مخلص الحق – ان افراد الجزويت في بيروت لا يكونون لنا اول الاعداء انا خالفناهم في الآراء وانهم يراعون الوصايا الدينيّة او صفات الانسانيّة فلا يشمتون بقضاء الله ولا يؤلمون القلوب وهي جريحة. ولكنهم لتدينهم ولطفهم ابوا الاّ ان يهزأوا بكلام التعزية الذي جاءنا من المحافل الماسونية ونشروا في بشيرهم مقالةً في اننا نعبد ابليس الرجيم وكذلك يعبدهُ كل الماسون ويلقبونهُ مهندس الكون الاعظم. فهذه عبارات التعزية التي جاءتنا من أُولئك الصالحين فنتركها وندرج مع الشكر عبارات اقتطفناها من تحارير وردت علينا من محافل أُخرى من المحافل الماسونية التي يعمل اهلها بالوصيّة الشريفة فيبكون مع الباكين ويفرحون مع الفرحين ولا يدّعون مع ذلك الرياسة في الدين

فمما ورد علينا في رسالةٍ من محفل القدس الاورشليمي الموقّر بتاريخ ١٢ ابريل (نيسان) ما نصّهُ: «قد شقّ علينا منعى فقيدتكم المتوفّاة الى رحمة ربها لانها كانت اختًا مكرّمة عند كل فاضل حائزة الدرجة العليا من الاعتبار بين بنات جنسها نظرًا لما أتصفت بهِ من الصفات الجليلة والعفّة والطهارة وحسن التهذيب والمعارف. وقد كتبنا هذه الكلمات للاشتراك معكم في مصيبتكم ومقاسمتكم الاحزان على هذه الخسارة العمومية نسألهُ تعالى ان يعزّي قلوبكم ويمنحكم الصبر الجميل» ...

ومما ورد علينا من بيروت من محفل لبنان الموقّر بتاريخ ١٧ نيسان (ابريل) ما نصّهُ: «ان مصابًا اليًا دهاكما نزل من حشانا منزلة السهم فجرّح وبرّح ... ويعزّ على الاخوان جميعًا ان يعزّوكما عن هذه الفاجعة فقد فقدتما جوهرةً كريمةً ذاب عليها حزنًا كل من عرفها بالذات او سمع بما لها من حسن الصفات. الاّ انهم يملون عليكما ما طالما تلقّوهُ منكما من الصبر في الشدائد والتسليم لاحكام الباري تعالى اذ ليس للسلوى سبيل غير الرجاء باللقاء».

ومما ورد من طنطا من محفل الكمال الموقّر بتاريخ ٢٠ ابريل (نيسان) ما نصّهُ: «قد كان لمصابكم في وفاة المرحومة المغفور لها مريم نمر مكاريوس حزنٌ وشجي شديد في قلوب الاخوان عمومًا لما اتصفت بهِ الفقيدة من الفطنة والذكاء وعفّة النفس وحسن المآثر

فنطلب من مهندس الكون الاعظم ان يلهمكم الصبر الجميل و يتغمّدها بواسع الرحمة والرضوان

ومما ورد علينا من مصر القاهرة ايضاً من محفل نور الشرق الموقّر بتاريخ ٩ مايو (ايار) ما نصهُ "وصلنا منعى فقيدتكم المرحومة الفاضلة مريم نمر مكاربوس متأخرًا عن وقتهِ فاسفنا لانَّا لم نتمكن من مشاركتكم في تشييع جنازة تلك الزهرة الزاهرة بفضائلها ومعارفها بين ذوات الكمال والادب والعرفان . وقد شقَّ علينا مصابكم فانهُ مصاب عميم ونضرعنا الى مبدع الكائنات ان يفيض على روحها سحائب رحمتهِ ويسكنها فسيح جنانهِ و يلهمكم على فقدها الصبر والعزاء الجميل"

منشورات

الكريم مكرَّمٌ حيثُ حلَّ

من مدة وجيزة تحرَّكت ركاب السيد المفضال غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك الى دار السعادة لتقديم فروض الشكر الى الحضرة السلطانية الفخيمة على ما تكرَّمت عليهِ بهِ بمنحها اياهُ النيشان العثماني الاوَّل . فلقي في دار السعادة من الاحتفاء والاحتفال ما هو خليق بغبطتهِ ومثَل لدى ذي الشوكة والاقتدار مولانا السلطان عبد الحميد خان مرَّتين لقي فيهما من التعطفات الملوكانية ما انطق لسانهُ بالدعاء بتأبيد الذات الخاقانية وتأبيد ملكها مدى الدوران

ثم عاد الى الاسكندرية ومثَل لدى الحضرة الخديوية الفخيمة يشكرها على اهتمامها باستقبالهِ ويدعو لها ولانجالها بطول العمر والتأييد الالهي

وافضال غبطة البطريرك مشهورة بانشاء المدرسة البطريركية وبالسعي في كل ما يرفع شأن طائفتهِ خصوصًا وشأن الوطن عمومًا فنهنئهُ بما نالهُ من رعاية سلطاننا الاعظم وخديوينا الافخم ونسأل لهُ عمرًا طويلاً

المطر في برّ الشام

يؤخذ من جرنالات بيروت ان المطر كان غزيرًا في اواسط الشهر الماضي وقد اضرّ بورق التوت والكرم في بعض الانحاء لكثرة البرد المتساقط معهُ . وفي لسان الحال الاغرّ ان صاعقةً اصابت دارًا في معلقة الدامور فنزلت على زاوية البناء الاعلى فاتلفت جانبًا منها ثم قصدت مسمارًا في الحائط فاقتلعتهُ والحجر معهُ وطرحتها في عرصة الدار على بعد عشرين خطوة ثم تدرجت الى نوافذ الاقبية السفلى وكانت مغلقة فنزعت حديدها ومزّقت اخشابها اربًا اربًا وامتدت من هناك الى الحيطان فشقّت بعضها واخلّت بنظام البعض ولم تضرّ باحد الراقدين . وان الرياح اقتلعت كثيرًا من الاشجار الكبيرة

وفي جريدة بيروت الغراء انهُ سقطت صاعقة على بيتٍ في قرية كفرحزيا مركز قائمقامية الكورة بلبنانٍ فهدمت جانبًا منهُ وقتلت شابًا يبلغ العشرين من العمر وبقية اهل البيت أُغمي عليهم

وفي البشير انهُ مات بردًا في مزرعة السعلوك على حدود البقاع خمسة رؤوس جاموس و ٣٠ راس غنم . وكان ٤ اولاد في عين داره يرعون مواشيهم في وادٍ يبعد عن القرية ربع ساعة منهم صبيٌّ ابن ١٢ سنة كان راكبًا دابةً فجرهُ السيل هو ودابتهُ فمات غريقًا

ومجمل ما نزل من المطر في بيروت من شهر اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٨٧ الى آخر شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٨٨ من ٣١ — ٣٤ قيراطًا

وكُتب الينا انهُ سقط في ١٥ ابريل (نيسان) الماضي بَرَد كبير الحجم

في نواحي حَضَرمَن اقليم البلان مصحوبًا برياح وعواصف فاهلك نحو خمساية راس ماعز ومئة راس بقر. وانهُ توفي احد النباح وبعض البغال من شدَّة البرد والرياح

البرَد في القاهرة

تكاثفت السحب في سماء القاهرة يوم الاحد في السادس من هذا الشهر وتراشقت البوارق ودمدمت الرواعد ورمت الارض السماء بجب الغمام فتساقط كالبندق الكبير مخاريط محددة الرؤوس وكتلاً غير منتظمة الاشكال وقد بلغنا ان البرد سقط في اماكن كثيرة من القطر المصري واضرَّ قليلاً بالمزروعات وذلك غير معهود في هذا القطر وفي هذا الفصل من السنة

كتب الينا جناب صديقنا الدكتور اسعد افندي رحال طبيب قائمقامية مرج عيون ان امرأةً شيعية في قرية الخيام ولدت اربعة بنين معًا بقوا احياء برهة ثم ماتوا جميعًا لسوء التدبير

جواب ظريف

- انهُ سنة ١٥٢٤ بينما كان السلطان سليمان الغازي ذاهبًا لمحاربة المجر وقد اقبل على مدينة بتروارادين اذا بامرأةٍ من اهل المدينة المذكورة عارضتهُ وهجمت وامسكت بركاب فرسهِ وهي تستغيث وتبكي فاراد الحرس السلطاني معارضتها فامرهم السلطان بان يدعوها ثم قال لها ما امركِ . فقالت عش ايها المولى ان ليلة امس دخل بعض جنودك داري وتركوها قاعًا صفصفًا . فقال لها مبتسمًا الظاهر انكِ استغرقتِ في النوم بحيث لم تشعري بكل ما اقاموهُ من الضجيج والقرقعة . فقالت نعم أيها المولى حقًا قلت لكني كنتُ واثقة ان

عظمتك حارس علينا جميعًا فسرَّ السلطان من جوابها وقاصَّ المذنبين بصرامة ودفع اليها ضعف ما فقد لها.

سرعة الجواب

نادى بعضهم حمّارًا ليأخذهُ حيث كان قاصدًا فسألهُ الحمّار اين تريد تذهب يا خواجه وكان مشغلاً بافكارهِ فاجابهُ الى جهنّم فقال الحمّار تعال اركب وانا اوصلك للباب يا موسيو.

معلم وتلميذ

فيما كان احد المعلمين يمتحن صفًّا من التلامذة في الفلسفة الطبيعية قال ان الانسان لا يرى الاشياء بعينها عند رؤيتها بل صورها المنطبعة على الباصرة ولاجل زيادة الايضاح قال لاحد التلاميذ يا فلان هل رأيتَ اباك فعلاً فقال لا يا معلمي فقال برهن لنا لماذا لم ترهُ فاجابهُ لانهُ توفي قبلما وُلدت كما تعلم فضحك من حضر من هذا الجواب واحمرَّ وجه المعلم خجلاً

الجواب اللطيف

مرَّ رجلٌ اشمط بغادة حسناء فقال يا هذه ان كان لكِ بعل فبارك الله لكِ فيهِ والاَّ فاعلمينا فقالت كانك تخطبني قال نعم فقالت ان فيَّ عيبًا وهو شيبٌ في رأسي فثنى عنان فرسهِ ورجع ادراجهُ فقالت لهُ على رسلك انني لم اتجاوز العشرين سنة ولا رأيتُ برأسي شعرةً بيضاء ولكنني احببتُ ان اعلمك اني اكرهُ منك ما تكرهُ مني فولّى وهو ينشد

رأينَ الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضنَ عني بالخدود النواضرِ

كسلان

سُئل شابٌ كسلان اذا كان قد اخذ الكسل من ابيهِ فاجاب اظن لا وذلك لاني أرى ان ابي لايزال فيهِ كل ما كان عندهُ من الكسل